الاثر الايديولوجي ، الاكسيلوجي و السوسيوثقافي للمثلين في رواية قضاة الشرف لعبد الوهاب بن منصور

الباحثة: سليمة يحياوي أ.د. عيسى اخضري
جامعة الأغواط جامعة الجلفة

ملخص بالغة العربية :

يبدو الأثر الأيديولوجي واضحا وصريحا في المقاطع السردية بوصف وتصوير الحقائق التاريخية للواقع السياسي في الجزائر ما بعد الاستقلال واثناء الثورة التحريرية المباركة، وقد استخدم الروائي الشخصيات (الممثلين) كبوق يتكلم من خلاله عن أفكاره الأيديولوجية، فنجد الانحياز الحزبي اتجاه حزب معين وعدم تقبل أفكار حزب اخر، وعليه ومن خلال دراسة الأثار الإيديولوجي والأكسيولوجي من البنية السردية في الخطاب الروائي "قضاة الشرف" نلاحظ ونستنتج ان السارد استعان بالوقائع والاحداث التاريخية التي عرفتها الجزائر أثناء وبعد الثورة التحريرية المباركة، ولهذا نلمس التداخل الفني والتاريخي السياسي لبعض المقاطع السردية من الرواية "قضاة الشرف".

الكلمات المفتاحية :رواية قضاة الشرف ؛ الايديولوجيا ؛ الاكسيولوجيا ؛ الممثلين ؛ السوسيوثقافي الواقع السياسي والتاريخي للجزائر

English summary:

The ideological effect appears clear and explicit in the narrative sections, describing and portraying the historical facts of the political reality in Algeria after independence and during the blessed liberation revolution. The novelist used the characters as a loudspeaker to speak about his ideological ideas. We find party bias towards a certain party and not accept the ideas of another party , And by studying the ideological and ecological effects of the narrative structure in the novel "Judges of Honor" we note and conclude that the narrator used the historical facts and events that Algeria experienced during and after the blessed liberation revolution, For artistic political and historical narrative of some sections of the novel "judges of honor".

key words: The novel of honor judges; ideology; ecology; representatives; sociocultural political and historical reality of Algeria

- الأثر الأيديولوجي والاكسيولوجي للممثلين:

بالرجوع الى دراسات "غريماس" نجد انه قد ميز بين المكونين "الأيديولوجيا" و"الاكسيولوجيا" في دراسته للقيم الكامنة والموجودة في النص السردي وقبل البحث عنها في الخطاب الروائي "قضاة الشرف"، نضبط المصطلحين بتحديد مفهوم كل واحد منهما وعلاقته بالخطاب الروائي:

أ. الأيديولوجيا:

يتشكل المصطلح من كلمتين لاتينيتين هما :IDEA بمعنى فكر وLOGIE بمعنى علم، ومنه وحسب الترجمة العربية (علم الأفكار)، ويعود نحت هذا المصطلح أو التركيب الى المفكر الفرنسي "دستوت دي تراسي" destutt de tracay سنة 1817، والايديولوجيا ما زالت في مرحلة البحث عن الأسس والخصائص والمميزات التي تجعلها علما قائما بذاته بل هي فضلة Residu من فضلات العلوم الإنسانية على حد تعبير المفكر الفرنسي "ف. دومون" F.Dumont.[1] (حمدي، 2001)

أما عن علاقة الأيديولوجيا بالعمل الروائي فهي علاقة تأثير وتأثر، ومن حوامل الأيديولوجيا في العمل الروائي كما أشار "ابراهيم عباس": الزمان، الحبكة، المكان، الشخصيات، الحوار، السرد والرمز كلها حوامل للإيديولوجيا ومظهر لها. ومن خلالها يبدي الروائي ما يريد ويخفي ما يريد، والأديب المبدع لا يكتب نصه وهو خال من أي توجه أيديولوجي، فهو ليس بريئا تمام البراءة لأن توجهه يشكل جزءا من شخصيته وثقافته وفكره وأدواته اللغوية.[2] (عباس، 2005)

ومنه ما يميز اغلب الاعمال الروائية هو وجود الأثر الأيديولوجي، ولذلك فكل عمل روائي ما هو الا إنتاج أيديولوجي له لغته الخاصة، وعلاماته ورموزه التي يتحكم فيها الفضاء والزمن او ما يطلق عليه علماء اللسان السياق اللغوي الذي يفسح المجال من جانب اخر على اللحظة التاريخية.[3] (حمدي، 2001، صفحة ص41)

وطريقة تنظيم المعنى في السياق اللغوي للعمل الروائي يحدد الطبيعة الأيديولوجية للمعنى (الأيديولوجيا كما يوضح ذلك "اليزيوفيرون" Eliseo Veron:

ليست سجلا لمضامين الإدارة، المواقف، وحتى التمثيلات بل هي قواعد Grammaire لتوليد المعنى أي استثمار للمعنى في مواد دالة ولا يمكن تبعا لذلك تحديدها من خلال المضامين وان طريقة التولي هاته تفرض أصلا أو مادة تشكل منطلق بناء النص.)[4] (بنكراد، السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، 2003) أما في المفهوم السيميائي (السيميولوجي) تعرف الأيديولوجيا بأنها القيم في وقائع خاصة، وإعادة تعريفها بمعنى حذف لخصائص أو إضافتها الى ما يشكل المدخل الرئيسي لتعريف الظاهرة من خلال استحضار تجربة محسوسة تعد اغتناء للأصل المولد وتنويعا له،[5] (بنكراد، النص السردي نحو سيمائيات للايدلوجيا ، 1996) وعليه (فإن إنتاج أثر دلالي ما إيديولوجي لا يعود الى المدلول ككيان مكتف بذاته بل يعود الى الصياغة التي تقدم له، وبعبارة أخرى فإن الملفوظ لا يستنفذ كامل إمكاناته الدلالية إلا من خلال الاثار التي تتركها الذات المتلفظة لحظة إنتاجها لهذا الملفوظ).[6] (بنكراد، النص السردي نحو سيمائيات للايدلوجيا ، 1996، صفحة 27)

ومنه نلاحظ تأثر النص الأدبي عموما في مراحل تكوينه المختلفة، وخاصة مرحلة ما بعد الاستقلال بما وجد في الساحة الجزائرية، والتي كانت تشكل مركز الثقل وبؤرة التوتر في حركية المجتمع الفكرية والأيديولوجية والسياسية ولهذا تمثلت جدليات الصراع، وهذا يؤدي الى ما يمكن أن يخبأه النص من إمكانية إنتاج قارئه، لا على المستوى الجمالي فحسب، ولكن على المستوى الأيديولوجي والسياسي كذلك.[7] (رابحي، 2003)

ب. الأكسيولوجيا:

يضع "غريماس" مفهوما للأكسيولوجيا حيث يقول:(نعني بالأكسيولوجيا عامة نظرية، او وصف أنساق القيم سواء كانت أخلاقية أو منطقية أو جمالية)،[8] (بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للايديولوجيا ، 1996، صفحة ص45) وكل منهما (الأيديولوجيا والأكسيولوجيا) مقولة تشير الى نمط معين لتنظيم القيم رغم انتهاء المقولتين معا الى كون واحد، ولذلك لكونهما (يغطيان نفس المادة المضمونية ويتعلق الأمر بالحالة التي يطلق عليها الأكسيولوجيا فهي نشاط يقوم بتنظيم او وصف القيم في مستوى تجريدي عام، وهذا المستوى يتميز بانفصاله التام عن أي سياق.

إن الاكسيولوجيا تبعا لهذا التحديد عملية يتم فيها الإمساك بالكون الدلالي عبر حدود تنظيمية تلتقط الوجود الإنساني عبر مفاصله المضمونية الكبرى و(تشكل الأيديولوجيا في المقابل الوجه المشخص لهذه القيم، أو التجسيد الفعلي للمادة المضمونية داخل حدود زمنية وفضائية تمنح القيم لونا وطعما وخصوصية، إن التشخيص هنا هو ادراج القيم المجردة ضمن سياقات

خاصة فالفعل الخاص يحتاج الى سياق خاص يميزه ويستمد فرادته).[9] (بنكراد، السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، 2003، صفحة ص39)

إن الأكسيولوجيا هي البحث عن القيم المجردة والمعنوية الكامنة في حيثيات النص، وفي المقابل الأيديولوجيا تبحث في القيم الحسية داخل السياق، ولذلك (ان القيم التي تعود للأكسيولوجيا هي قيم محتملة وتعد نتاجا للتمفصل السيميائي للكون الدلالي الجماعي، بهذا فإن وجودها يتحدد داخل البنيات السيميائية العميقة إنها تشير الى نمط الوجود الاستبدالي Paradigmatique للقيم، ويمكن القول أن كل مقولة ممثلة في المربع السيميائي (حياة/موت) مثلا قابلة لأن تأخذ طابعا أكسيولوجيا بفضل استثمار الحدود الإيجابية والسلبية المحدد للحالة الوجدانية المتمحورة، حول (قبول/رفض).[10]

وباعتبار الأكسيولوجيا تبحث في القيم المجردة والذهنية والمعنوية فإن لها السبق في تنظيمها الأولي للعناصر التي تعطي للحياة بعدها الإنساني (...) في حين يرتبط الفعل الخاص بالسياقات المميزة للتجربة الفردية، وهذه السياقات الخاصة هي ما يشكل عند "غريماس" الوضع المحسوس والملموس للقيم، وهذا الوضع يدرك من خلال فعل ما، وهذا ما يشكل للأيديولوجيا، ويمكن أن نمثلها كالآتي[11]:

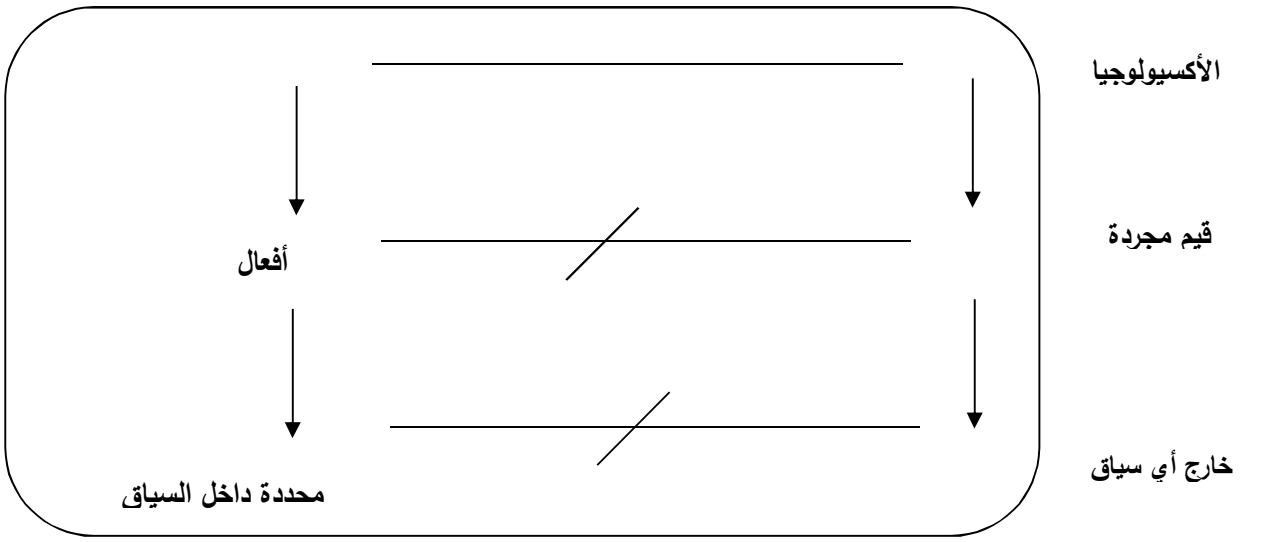

ولذلك فالأكسيولوجيا تختلف عن الأيديولوجيا، ولذلك لأنها تقوم علة وجود قيم مجردة تكون خارج أي سياق أما الأيديولوجيا فتقوم على وجود أفعال محسوسة تكون محددة ومنظمة داخل السياق.

ومنه سنحاول ضبط قيم المكونين (الأكسيولوجيا والأديولوجيا) من البنية السردية "قضاة اشرف" من خلال تجل صريح لها أو من خلال وحدات دلالية حاملة للقيم، ومن ذلك نأخذ المقاطع السردية: (قدور الكابران أكد لأبي معارفه أن الكثيرة في وهران ستقوم بالواجب، وأنه (اخي) سيحظى بالاهتمام والعلاج اللازم، وأن المرض لا يعني الموت، وهو الذي لازال يحمل رصاصة إسرائيلية في كتفه اليسرى أصابته في حرب أكتوبر 1967، مما اضطره لمغادرة الجيش الذي دخله مع بداية الحرب التحريرية، بعد أن كان مناصرا لمصالي الحاج وحاملا لأفكاره وهو مهاجر في الشمال الفرنسي بين عمال المناجم) (منصور، 2011، صفحة ص87).

ونجد "السارد" يتحدث عن "مصالي الحاج": (ورغم خروجه عن طاعته للالتحاق بجبهة التحرير، فلا زالت صورة الزعيم، كما يسميه معلقة في غرفته بلحيته الطويلة وطربوشة التركي، رغم ان هذه الصورة جلبت له المتاعب كثيرة حتى بعد الثورة، لكنه كان يقول دائما أن لهذا، وهو يشير لصورة مصالي فضل علي فهو الذي علمني معنى الوطنية، وهذا ينظر إلى أبي ويبتسم،

حمل السلاح...) ص 87، كما يظهر انتماء (الأب) السياسي: (أبي كان ينتمي لحزب الشعب مع جدي، لكن سرعان ما تخلى عنه لينضم الى جبهة التحرير، رغم معارضة جدي الذي بقي وفيا لمصاليته حتى موته ومن الذين نظموا صفوفها تحضيرا للثورة ، فقد أقنع صديقه قدور الكابران الذي تفهم الوضع وانضم هو الاخر للثورة وإن كان جدي قد أخطأ في تقديراته بشأن الثورة متبعا في ذلك رأي شيخه مصالي الحاج، فقد اعتبر أن أبي (ابنه) ولد عاق مثلما كان يرى في الأفلان ولد عاق لحزب الشعب، ولم يخف أراءه تلك بعد الاستقلال) (منصور، 2011، صفحة ص 88).

إضافة الى أنه يبين نزعة (الجد) وتوجهه السياسي: (لا أحد في جبالة ينسى ذلك اليوم الذي اقام فيه جدي حفلا بعد سماعه بانقلاب 19 جوان، فهو كما قال لا يحب بومدين ولا يعرفه لكن فرحته كانت كبيرة لأن بن بلة تنحى عن الحكم) ص 88، (بعد سنوات سيفاجأ بقرارات تأميم أراضيه رغم تدخلات أبي وقدور الكابران فكاد يجن لذلك، ولم يجد امامه سوى ابي ليسبه قائلا له بسخرية: أمن أجل هذا حاربتم وكافحتم؟ ثم يضيف متسائلا، كيف تأخذون أرضي وتعطونها غيري؟ ولمن؟ للحركي ولأبنائهم؟) (منصور، 2011، صفحة ص89).

(جدي لم يفرح لاسترجاع ...استرجعها بعد أربع سنوات...بقدر فرحة لوجود خلل ما قرارات السلطات وفيما أسموه "الثورة الزراعية") (منصور، 2011، صفحة ص 89).

يبدو الأثر الأيديولوجي واضحا وصريحا في المقاطع السردية بوصف وتصوير الحقائق التاريخية للواقع السياسي في الجزائر ما بعد الاستقلال واثناء الثورة التحريرية المباركة، وقد استخدم الروائي الشخصيات (الممثلين) كبوق يتكلم من خلاله عن أفكاره الأيديولوجية، فنجد الانحياز الحزبي اتجاه حزب معين وعدم تقبل أفكار حزب اخر، فنجد الممثل (قدور الكابران) مثلا يحمل بعدا أيديولوجيا فهو ينتمي الى حزب جبهة التحرير الوطني ويبدوا متشبعا بأفكاره حيث كان يرى الشخصية الثورية "مصالي الحاج"[12]* قدوته (له الفضل علي، فهو الذي علمني حب الوطنية)، كما كان متأثرا به لدرجة أنه كان يعلق صورته في غرفته، ويتشبع بأفكاره.

بينما نجد الممثل (قدور الكابران) قد شارك في حرب أكتوبر 1967 التي جمعت العدو الصهيوني "إسرائيل" مع فلسطين اثناء ذلك أصيب برصاصة في ذراعه كما يذكر "السارد"، حيث منعته من المشاركة في الجيش الشعبي الوطني ومغادرته.

إلا أن الممثل (الجد) يظهر من خلال الخطاب الروائي، "قضاة الشرف" ينتمي لحزب الشعب، وكان يعارض الرئيس "هواري بومدين" و "بن بلة" وكيف كان موقفه من الثورة الزراعية والأوضاع آنذاك، كما أن توجه الممثل (الاب) كان نحو جبهة التحرير الوطني بالرغم من انه كان يساند (الجد) في انتمائه لحزب الشعب الذي كان يرى أن حزب جبهة التحرير الوطني (الأفلان) ولد عاق لحزب الشعب (كان يرى ان الافلان ولد عاق لحزب الشعب) ص88.

ومن المقاطع السردية السابقة نجد تنظيما للقيم الأيديولوجية والأكسيولوجية في نسق لغوي صريح ومباشر يحمل أثرا أيديولوجيا من خلال وجود الوحدات الدلالية للملفوظ السردي، وتشير هذه الوحدات الى ومضة تاريخية للواقع الجزائري ما بعد الاستقلال، ولذلك يمكن استخلاص الطبيعة الأيديولوجية للقيم داخل وحدات السياق في الجدول الآتي:

الأثر الأيديولوجي		
السياق	داخل وحدات السياق	القيم الحسية
- وهو الذي لا زال يحمل رصاصة إسرائيلية في كتفه اليسرى في حرب أكتوبر 1967.	- رصاصة إسرائيلية.. حرب أكتوبر 1967	- الاستعمار الصهيوني
- الجيش الذي دخله مع بداية الحرب التحريرية.	- الحرب التحريرية.	- اندلاع الثورة الجزائرية.
- مناصرا للمصالي الحاج وحاملا لأفكاره.	- مصالي الحاج	- الحركة الوطنية.
- أبي كان ينتمي لحزب الشعب مع جدي لكن سرعان ما تخلى عنه لينضم الى جبهة التحرير.	- حزب الشعب.. جبهة التحرير .	- تعدد الأحزاب الجزائرية.
- اليوم الذي أقام فيه جدي حفلا بعد سماعه بانقلاب 19 جوان.	- انقلاب 19 جوان 1965.	- التصحيح الثوري ضد بن بلة.
- بعد سنوات سيفاجأ بقرار تأميم أراضيه رغم تدخلات أبي	- قرارات تأميم أراضيه.	- الثورة الزراعية.

وعليه تشير القيم الى وحدات دلالية تحيل في أغلبها على الفضاء الأيديولوجي، حيث نجد في البنية السردية: (الاستعمار، الثورة الانقلاب، الحرب، تأميم الأراضي، الثورة الزراعية..) وكما يشير التحديد الزمني والمكاني في السياق الى حقبة تاريخية عرفتها الدولة الجزائرية، ومن التحديد الزمني المعينات الأتية: (فهو كما قال لا يحب بومدين ولا يعرفه، لكن فرحته كانت كبيرة، لأن بن بلة تنحى عن الحكم..) ومن المؤشر المكاني:(معارفه الكثيرة في وهران ستقوم بالواجب).

اذ ان كل المؤشرات الزمانية والمكانية تحيل الى مواقف سياسية وايديولوجيا ومنه فإن الوجود وكل تمفصل يدي الى تجلي خاص يفرض قواعد بنائه وصيغه وأدواته فهو: إما تجلي صريح لأيديولوجيا معينة وإما تحقيق لبنية دلالية صغرى لا نملك ظاهريا على الأقل أي مضمون أيديولوجي سابق على تحققها في السياق).[13] (بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للايديولوجيا ، 1996، صفحة ص56)

أما الأثر الأكسيولوجي يمكن استخلاصه كما في الجدول الاتي:

الأثر الأكسيولوجي		
السياق	خارج السياق	القيم المجردة
- جدي من الذين نظموا صفوفها تحضير للثورة.. أما ابي لم يخف أراءه تلك بعد الاستقلال	- فشل فرنسا أمام قوة الثورة.	- ثنائية (الحرية والعبودية)
- كيف تأخذون أرضي؟ وتعطونها غيري؟ لمن؟ للحركي ولأبنائهم؟	- اغتصاب الحقوق.	- ثنائية (القوة والضعف)
- هروبا على بعض ممارسات رجال السلطة خاصة التصفيات الجسدية التي صارت تهدد كل من خالفهم في الرأي.	- القتل.	- ثنائية (الحياة والموت)

ويتجلى الأثر الاكسيولوجي الدلالي في المستوى العميق خارج سياق النص السردي، ولذلك (المقولات الدلالية التي لم تكن من قبل سوى قيم لسانية ستتحول الى قيم أكسيولوجية Valeur axiologiques مودعة في موضوعات تركيبية).[14] (بنكراد، النص السردي نحو سيمائيات للايدلوجيا ، 1996، صفحة ص39)

كما أن دور الشخصية في الخطاب الروائي له دور في تحديد الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي (فإذا لم تكن البنية السردية باعتبارها الوعاء الذي ستصب فيه هذه الايديولوجيا في منأى عن هذه الإرغامات فإن بناء الشخصيات "المحافل التي ستأخذ على عاتقها تحيين هذا الجهاز" يتبني بطريقة تحافظ على نقاء وصفاء هذه الأيديولوجيا، وتبعا لذلك سنكون من جهة امام اخراج سردي له لمقولة أيديولوجية ومن جهة ثانية، أمام تعريف أيديولوجي للشخصيات).[15] (بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للايديولوجيا ، 1996، صفحة ص 112)

لذلك نلاحظ أن الروائي يتخذ الشخصية كعامل أيديولوجي، وفي الخطاب الروائي يمكن استخلاص الأثر الأيديولوجي من سلوك وفعل الشخصية البطولي ومن ذلك الممثل: (الجد)، (الاب) (قدور الكابران)، فهؤلاء الثلاثة حاولوا إيصال الوعي السياسي للمثل (الإبن).

ومنه يمكن ضبط الأثر الأيديولوجي والاكسيولوجي لفعل الممثل كالاتي[16] (بنكراد، النص السردي نحو سيمائيات للايدلوجيا ، 1996، صفحة ص39):

- الجد:

يتجسد لنا الأثر الأيديولوجي والاكسيولوجي من خلال فعل وظيفة الممثل (الجد) كما في المقاطع السردية:(جدي الذي بلغ عدد نسائه تسعا يؤكد أنه فعل ذلك اقتداء برسول الله- صل الله عليه وسلم-) ص 10. (معارضة جدي الذي بقي وفيا لمصاليته حتى موته) (منصور، 2011) (منصور، 2011، صفحة ص87). (جدي اعتبر أن أبي ولد عاق مثلما كان يرى أن الأفلان ولد عاق لحزب الشعب) (منصور، 2011، صفحة ص 88). (أقام جدي حفلا بعد سماعه بانقلاب 19 جوان) (منصور، 2011، صفحة ص 88). (فرحته كانت كبيرة لأن كبيرة لأن بن بلة تنحى عن الحكم) (منصور، 2011، صفحة ص 88).

شارك (الجد) في الثورة التحريرية وكان من بين الذين شاهدو الاحزاب السياسية، ويظهر (الجد) من خلال المقاطع السردية ينتمي الحزب الشعبي ولا يرى في حزب جبهة التحرير الوطني اي فائدة حيث كانت توجهاته تنتمي على ما جاء به مصالي الحاج وبقي وفيا لمبادئه حتى وفاته فلم يغير انتمائه الحزبي رغم معارضة (الاب) الذي يغير انتمائه الحزبي رغم معرضة (الاب) الذي غير تواجه الحزبي. كما يظهر الممثل الأب (الجد) شاهد على التغيرات السياسية التي حدث في الساحة الجزائرية ما بعد الاستقلال من انقلاب 19 جوان الى تنحيه الرئيس بن بلة رحمه الله عن الحكم، حيث كانت فرحته كبيرة بهذا الانقلاب لدرجة أنه أقام فيه حفلا بهد المناسبة بجبالة.

إضافة الى هذا وفي الجانب الاقتصادي شهد (الجد) قرار تأميم الاراضي أو ما يسمى بالثورة الزراعية، والتي خسر فيها أرضه (كيف تأخذون أرضي وتعطونها غيري؟ ولم؟ للحركي وأبنائهم؟ وكان قد استفاد من أراضي جدي الكثير من الفلاحين بمن فيهم حركي وابن اخيه الحركي أحمد التراري) (منصور، 2011، صفحة ص 89).

كانت أرض (الجد) من بين الاراضي التي لحقها التأميم، وهذا ما جعله ينزعج لأنها في رأيه سلمت للحركي وأبنائهم.

ومن المقاطع السردية نستخلص الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي للممثل (الجد) في الجدول الاتي:

السياق	الاثر الأيديولوجي	الاثر الاكسيولوجي
	القيم الحسية	القيم المجردة
- بلغ عدد نسائه تسعا	- تعدد الزوجات	- الاقتداء برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم
- معارضة جدي. - بقي وفيا لمصاليه حتى موته.	- الكفاح السياسي - المعارضة	- النشاط الحزبي .
- يرى أن الافلان ولد عاق لحزب الشعب. - لم يخف أراءه تلك بعد الاستقلال .	- ولد عاق - النضال	الاحزاب السياسية في الجزائر - التعددية الحزبية .
- فرحته كانت كبيرة لأن بن بلة تنحى عن الحكم - اقام جدي حفلا بعد سماعه بانقلاب 19	- الانقلاب - الحفل - تنحى عن الحكم	- التصحيح الثوري - التوعية

جوان		
- كيف تأخذون ارضي وتعطونها غيري؟ ولمن للحركي وابنائهم؟	- تأخذون أرضي - للحركي وابنائهم	- الروح الوطنية .

بالرغم الثانوي للممثل (الجد) إلا اننا نجد السارد قد اعطاه دورا يتمثل في القيام بالنشاط الحزبي، والتوجه نحو حزب الشعب وهو مؤشر سيمائي للأثر الايديولوجي والسياسي في قيادة الاحزاب السياسية في الجزائر اثناء الثورة كما ان الممثل (الجد) يضعنا في إطار الانقلاب السياسي الذي شهدته تلك الفترة بعد (الاستقلال) ومنه يمكن استخلاص المربع السيمائي لثنائية الحزبين (حزب الشعب / حزب جبهة التحرير الوطني):

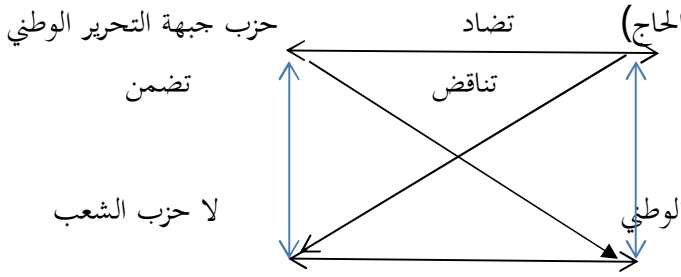

- الأب:

يعد الممثل (الاب) حاملا لبعد أيديولوجي سياسي من منظور حزبي، حيث عارض والده(الجد) وانضم الى حزب جبهة التحرير الوطني، وكان يرغب في السلطة بأي ثمن يحصل عليها ودليل ذلك من المقاطع السردية (ابي يستهوي الجلوس على عرش الطريقة (منصور، 2011، صفحة ص 18)، (أخذت ابي يقض على المريدين والفقراء، قال فيما قال: رسول الله جاءه ومعه جمع من الاولياء الصالحين وقد عرف كثيرا منهم، عزوه في ابيه وباركو حضرته (...) دخل الجلالي يحمل "مترد الكسكسي" وضعه أمام أبي التف حوله بعض الفقراء) ص 33، (أبي كان ينتمي الى حزب الشعب ..لكن سرعان ما تخلى عنه لينضم الى جبهة التحرير) (منصور، 2011، صفحة ص 87)، فهذا المقاطع السردية تظهر أيديولوجية الأب وتفكيره حيث كان يحب الجلوس على العرش ويقدم بمزاولة المهام بالإشراف على الزاوية كما كان يفعل الجد، واستقبال الميردين ، وإطعام الفقراء ،إضافة الى انتماء الحزبي اذ غير انتمائه من حزب الشعب الى حزب جبهة التحرير الوطني ،اضافة الى ذلك نلاحظ على الممثل (الأب) الغطرسة والتأمر (عودة أبي كانت مفاجئة (...) أول عمل قام به هو اعادة ولد التراري الى منصبه وخلع المقدم بوستة الذي وقف في وجه أبي وأخبره أن جدي لم يمنحه الحكمة، وأنه لن يسكت على ذلك ، فلم يجد ابي غير تهديداته المعهودة)، (منصور، 2011، صفحة ص 101)(بالغد تمت جنازة خالي في هدوء تام ،وعلق ابي ان الموت بيد الله(...) اخوالي لم يحضروا الابعد يومين من اغتياله وحاولوا معرفة الجاني لكن ابي اقنعهم انه انتحر) (منصور، 2011، صفحة ص 113/112)وفي هذا المقطع السردي نلاحظ بعض ممارسات (الاب) العدوانية ،ومن بينهما القتل بحجة الخروج عن طاعة الزاوية ، يمكن تحديد كل من الاثر الأيديولوجي والأيكولوجي للممثل (الاب) في الجدول الآتي:

السياق	الاثر الأيديولوجي	الاثر الاكسيولوجي
	القيم الحسية	القيم المجردة
- يستهويه الجلوس على عرش الطريقة	حب الممارسة للسلطة	الحضرة
- أخذ أبي يقص على المريدين والفقراء .	- المريدين. - الفقراء.	- الزهد والتصوف - الفقر .
- يحمل متترد الكسكسي وضعه أمام أبي التف حوله بعض الفقراء .	-اطعام الفقراء (اسم يطلق على المريدين)	-الزردة

أبي كان ينتمي لحزب الشعب - تخلى عنه لينضم الى جبهة التحرير .	النشاط السياسي و الحزبي	- الحرية في التوجه الحزبي
- أبي ..أول عمل قام به هو إعادة ولد التراري وخلع المقدم بوستة.	-ممارسة مهام صاحب الحضرة	-استغلال النفوذ
- المقدم بوستة وقف في وجه أبي (..)فلم يجد أبي غير تهديداته المعهودة	-التهديد بالقتل .	- الموت.
لم يحضروا الا بعد يومين من اغتياله وحاولوا معرفة الجاني لكن أبي أقنعهم أنه انتحر	- القتل و التصفية الجسدية بالشنق .	-الموت

- قدور الكابران:

ظهرت لممثل (قدور الكابران) ميول سياسية في الخطاب الروائي "قضاة الشرف" حيث كان مناصرا لسياسي الثوري "مصالي الحاج" وقد كانت له أهمية كبيرة في بناء المسار السردي باعتباره ممثل أخذ دور صديق صاحب الحضرة ورفيقه، ويمكن إظهار البعد الأيديولوجي السياسي لهذا الممثل من خلال المقاطع السردية الاتية: (قدور الكابران أكد لأبي أن معارفه الكثيرة في وهران ستقوم بالواجب وأنه (أخي) سيحظى بالاهتمام والعلاج اللازم) (منصور، 2011، صفحة ص 86)

في هذا المقطع السردي تظهر الصداقة القائمة بين الممثلين(الاب) و (قدور الكابران)، والمقطع السردي التالي: (كان مناصر لمصالي الحاج وحاملا لأفكاره وهو مهاجرا في الشمال الفرنسي بين عمال المناجم) ص87، يبين هذا المقطع السردي توجه قدور الكابران السياسي ونشاطه. (قدور الكابران الذي تفهم الوضع وأنظم هو الآخر للثورة) (منصور، 2011، صفحة ص 88). اما هذا المقطع يبين مشاركته في الثورة، ويمكن تلخيص الدور السياسي والأيديولوجي لهذا الممثل (قدور الكابران) في الجدول الآتي:

السياق	الأثر الأيديولوجي	الأثر الأكسيولوجي
	القيم الحسية	القيم المجردة
- معارفه الكثيرة في وهران ستقوم بالواجب	- المعارف في المستشفى بوهران.	- الواسطة .
- كان مناصرا لمصالي الحاج وحاملا لأفكاره	- النشاط السياسي والتوجه الحزبي.	- الروح الوطنية .
- تفهم هو الاخر الوضع وانضم الى الثورة	- الثورة	- المقاومة .

وعليه ومن خلال دراسة الأثار الإيديولوجي والأكسيولوجي من البنية السردية في الخطاب الروائي "قضاة الشرف" نلاحظ ونستنتج ان السارد استعان بالوقائع والاحداث التاريخية التي عرفتها الجزائر أثناء وبعد الثورة التحريرية المباركة، ولهذا نلمس التداخل الفني والتاريخي السياسي لبعض المقاطع السردية من الرواية "قضاة الشرف".

2-4 – الأثر السوسيوثقافي الروائي " قضاة الشرف":

إن الأثر السوسيوثقافي يتحدد من خلال القيم التي تستخلص من وجود الوحدات الدلالية الواردة في السياق الخطاب الروائي ، ومن فعل الممثل أو من ثنائية الزمان والمكان أو الرموز او أي مؤشر السلوك الإنساني(السلوك الانساني هو سلوك رمزي، ولا يمكن السلوك الرمزي أن يكون سوى سلوك إنساني ، وبهذا المعنى فان الثقافة ذاتها ليست سوى نسيج مركب من الانظمة الرمزية على حد تعبير "كلود ليفي شتراوس)[17] (بنكراد، السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، 2003، صفحة ص 178) ولذلك يتوجب على الفرد (أن يتمثل في سلوكه لمقتضيات أخلاق مجتمعه وألا يتجاوزها أو يخرقها أو يسئ إليها من الصور التي تحل على الكون" الامتثالية الاجتماعية")[18] (بنكراد، سيمولوجية الشخصية السردية) و بمعنى الحفاظ على العادات والتقاليد والموروث الثقافي فالشخصية(ليست وليدة التجلي، كما ان ادركها ليس مرتبطا بالمستوى السطحي المحايد

على شكل قيم ومواصفات وإلا يقوم المستوى السطحي الا بتخصيصها عبر صبها داخل السياق الخاص الذي يحدده النص الثقافي وبعبارة اخرى ،فإن القيم الخالقة للشخصيات تنفجر في بنية تصويرية على شكل مجموعة من العناصر هي ما يشكل خصائص الشخصية ضمن وضعية إنسانية تتميز بعملها المحلي أي سياقها الثقافي الخاص)[19] (بنكراد، السميائيات مفهيمها وتطبيقاتها ، 2003) وانطلاقا من هذا يمكن ضبط الأثر السويسوثقافي إما على مستوى الدال أو على مستوى المدلول للشخصية أو المستويين معا [20] (بنكراد، السميائيات مفهيمها وتطبيقاتها ، 2003) ، وفي الخطاب الروائي "قضاة الشرف" نقف عند الممثلين : فقيه الجامع (حمزة) وصاحب الزاوية (الأب) والمفتي(ولد الطاهر البغدادي) لاستخلاص الأثر السوسيوثقافي كالاتي :

- فقيه الجامع "حمزة":

يعد فقيه الجامع (حمزة) صاحب الجامع فيه يقوم بتدريس الأطفال والكبار "القران الكريم"، حيث نجده يمثل المجتمع الجزائري في تلك الحقبة، فنجده (حمزة) رجل دين كما وصفه خدع السارد (الإبن) كما في المقطع السردي: (قال الفقيه: فيما قال: إن إبليس امنا حواء، فأكلت التفاحة المحرمة خطا فعاقبها الله فأخرجها من الجنة، فتسألت الفقيه: - ألم تقل لنا أن الله لا يعاقب الا من تعمد الخطأ، فلماذا يعاقبها إن أكلت التفاحة من غير عمد؟) (منصور، 2011، صفحة ص09)،من خلال هذا المقطع نلاحظ أن الممثل (حمزة) لا يمتلك مخزونا فكريا دينيا يروي من خلاله القصص القرآنية على المتعلمين ،(بصق الفقيه على وجهي وضرب مؤخرتي بعود من الزبوج حتى احمرّت ، فلم أعد الى الجامع ،وكنت و كنت يومها قد ختمت جزء "يس") (منصور، 2011، صفحة ص 10) ، من خلال هذا المقطع السردي يظهر الفقيه منفعلا على السارد حيث عاقبه لأنه سأله ،وهنا تظهر علاقة المتعلم أنداك بمعلمة في الجامع حيث كانت له هيبة ويعاقب المتعلمين من خلال ضربهم (كما تظهر في الخطاب الروائي بعض الممارسات الاجتماعية التي تدل على العادات و التقاليد والثقافة السائدة أنداك (وشمت جبهتي بموسى حلاقه جديدة ثم ، سلمته لفقيه الجامع فقرأ عليه بعضا من تمائمه ،ودمي كتب به "حرزا" اغتسلت به يوم ختاني ،فقيه الجامع أكد لجدتي أني أساوي سبعة رجال ،وأن كل امرأة تنظر في عيني تعشقني) (منصور، 2011، صفحة ص 08)، ففي هذا المقطع السردي تظهر العادات المتعلقة بختان الأطفال أنداك ،وبعضها الى حد الان مازال قائما . ومن مؤشرات القيم السوسيوثقافية في الخطاب الروائي المقطع السردي (أمي فرحت مغادرتي الجامع لأنها ستحتفظ بأثلاث بيضات التي كانت تعطيها للفقيه كل يوم أربعاء) (منصور، 2011، صفحة ص 10)، يظهر المقطع السردي الاجر الذي كان يتقاضاه مدرس القران في تلك الفترة وهو (ثلاث بيضات كل يوم اربعاء)، وهذا يسمى (خميسية)ّ أي الأجر كما يعرف الآن ومن القيم أيضا ما نجده في المقطع السردي (حمزة الفقيه بقي بالدار لغسل جدي وتكفينه.. ثم تحضير مراسيم الجنازة لما بعد صلاة العصر) (منصور، 2011، صفحة ص24).

إذ أن الدور الذي يقوم به فقيه الجامع (حمزة) يتعدى تدريس القرآن الى تكفين الموتى وغسلهم تحضيرا لمراسيم الجنازة، وهذه قيمة ثقافية دينية ما زالت الى حد الان.

- صاحب الزاوية (الاب):

يعد الممثل (الأب) صاحب الحضرة والمشرف على الزاوية بعدما اخذ (الابن) الذي يدوره ورثها عن الجد فيظهر الممثل (الأب) يجسد دور أصاحب الزاوية، ومن القيم التي نستخلصها من خلال دوره، العداة والتقاليد التي كان يقوم بها اصحاب الزوايا آنذاك، فهذا المقطع السردي يعكس جانبا من تلك الجوانب: (كانت الزاوية تشهد لحظات التجلي والخشوع في جو

تعطره رائحة الجاوي والزنجبيل، الفقراء يصطفون في شكل حلقة يتوسطها أبي يتراقصون.. رؤوسهم تتحرك من الخلف الى الامام في تناسق عجيب مع أرجلهم وإيقاعات الطبول، يرددون في صوت واحد: الله حي.. الله حي.. حي..حي.. حي.. حي.. الله حي..) ص31 فهذه الحركات والتصرفات تعكس المستوى الثقافي والاجتماعي عند الناس في الزوايا عند المشاركة في الحضرة (كان للإيقاع عباءات الفقهاء البيضاء تهتز في تثاقل كأنها تخاف هروب الأجساد التي بداخلها ابي وسط الحلقة يهتف مرددا وضابطا: هو.. هو..هو..هو) (منصور، 2011، صفحة ص31)، فهذه الصورة تعكس الواقع الاجتماعي والثقافي في الحضرة، وهي تصرفات وحركات استطاع الممثل (الأب) أن يجسدها (الأب) من خلال دوره(صاحب الحضرة) أن يجسدها من خلال دوره (صاحب الحضرة)، إنها فسيفساء حضرواتية جسدها (الأب)، (أبي على الارض، أخذ الفقراء يتباطئون في رقصهم ،أعينهم مغمضة ،يتغير الايقاع، الفقراء ينشدون مديحا سكنت عباءتهم فقط رؤوسهم ظلت تهتز، استفاق ابي، أخذ ينشد معهم كان يبتسم ،يفتح عينه، ثم يغمضهما، فجأة توقف الإيقاع ،صمت الجميع عادو الى أمكنهم (...) شرب الفقراء الشاي جرعة واحدة كما تقتضيه تقاليد الحضرة) ص33/32، إنها الحضرة كما تقتضيه العادات والمتعارف عليها، عليها وهي فعلا عكست جانبا مهما من حياة الصوفيين والمريدين والفقراء (تعني الطريقة الصوفية مراسم الله وأحكامه التكليفية التي لا رخصة فيها واحكامه التكليفية التي لا رخصة فيها (..) ويسمى المنتسب الى الطريقة مريدا(..) واخوانه في الطريق يطلق عليهم اسم الفقراء الى واحدهم فقير من الفقر الى الله تمييز له عن فقر ذات اليد، فاذا قيل فقير كان المقصود من ذلك أنه صوفي منتسب لطريقة ما)[21] (بريكة، 2006) ، وعليه من خلال ما تم ذكره نلمح البعد السوسيوثقافي للدور الذي قام به (الأب) حيث اطلعنا على الدين كنظام للمعتقدات والسلوكات والاخلاق ، وكنظام للأفكار والتوجهات ،ولذلك يصبح بهذا المفهوم (الدين كمؤسسة ثقافية اجتماعية)[22] (بريكة، 2006، صفحة ص79) فهو يرسخ الحالات الوجدانية والدوافع القوية في عالم الروحانيات ،وهنا تتجلى القيم السوسيوثقافية في الخطاب الروائي .

- المفتي ولد الطاهر البغدادي:

استطاع الممثل (ولد الطاهر البغدادي) القيام بدور المفتي بمهارة فعكس جانبا لا يقل أهمية عن الجانب الذي رأيناه سابقا، ولذلك ظهرت مظاهر الحياة الدينية والاجتماعية.

من خلال المقاطع السردية المتعلقة به ولذلك نعود الى بعض المقاطع السردية لتحليل ذاك (ولد البغدادي مفتيا لها يصدر احكامه كيفما يشاء) (منصور، 2011، صفحة ص116) ، حيث يظهر من خلال المقاطع السردية انه كان يصدر الأحكام والفتاوى للناس باعتباره(مفتي الزاوية)، ومن الفتاوي التي أصدرها الحكم بالقتل شنقا ضد خال السارد (مولود) (ولد البغدادي يصدر حكمه بالموت على خالي لأنه زنديق) (منصور، 2011، صفحة ص 112) ، وهنا يظهر البعد الديني للحياة الاجتماعية في الاسلام ،حيث ان الزنديق هو المرتد عن الدين الاسلامي اي المشرك بالله والواجب قتله ، ولذلك يقول الممثل (ولد البغدادي) تعليقا على السؤال (ولد التراري) (الزنديق هو من ترك الصلاة والصوم والشرك في العبادة) (منصور، 2011، صفحة ص112) ، وهنا يظهر الجانب السوسيوثقافي بقوة الى الجانب الديني الذي انطلق منه فإذا رجعنا الى القران الكريم نجد أن الله جل وعلا يقول في كتابه العزيز عن المشركين:(فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم وأحصروهم وقعدوا لهم كل مرصد) الآية 05 ، من سورة توبة واعتبار الممثل(ولد البغدادي) مفتيا في الزاوية و مرجعه القران الكريم، أصدر الحكم على (مولود) باعتباره ارتد عن الاسلام ،وهنا يظهر حكم الطريقة لدى أصحاب الحضرة

في إصدار الحكم الاحكام في الزاوية ،فالطريقة نهج في التربية والزاوية التي يجتمع فيها الفقراء للذكر وقراءة القرآن وانشاد المدائح [23] (بريكة، 2006، صفحة ص295) .

غير أن احكام (الممثل (ولد البغدادي) كانت تعبر عن فكر وسلوك معين من خلاله عرض السارد جانبا من جوانب ما كان يحدث في الزوايا آنذاك وعليه عكس الخطاب الروائي "قضاة الشرف" جانبا مهما من جوانب الحياة السياسية، الاجتماعية والثقافية في الجزائر، وظهر ذلك من خلال الوحدات الدلالية الباتمية، ومن خلال العلاقة بين الوحدات، كما ظهر من خلال ضبط قيم الاثر الأيدولوجي والاكسيولوجي والسوسيوثقافي من تنظيم الوحدات الدلالية في النسق السياقي للمقاطع السردية.

الهوامش :

[1] ينظر: أحمد حمدي، جذور الخطاب الايديولوجي الجزائري، دار القصبة للنشر الجزائرية، (د ط)، 2001، ص 28/27.

[2] ينظر: إبراهيم عباس، الرواية المغربية تشكل النص السردي في ضوء البعد الأيديولوجي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط1، 2005، ص 57.

[3] ينظر: أحمد حمدي، جذور الخطاب الايديولوجي الجزائري، ص 41.

[4] سعيد بنكراد، السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الجزائر، (د-ط)، 2003، ص 159.

[5] ينظر: سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيمائيات للأيديولوجيا، مطبعة فضالة، دار الامان، الرباط، المغرب، ط 1، 1996، ص 08.

[6] المرجع نفسه.27

[7] ينظر: عبد القادر رابحي، النص والتقعيد، ايديولوجية النص الشعري، الجزء الاول، دار الغرب للنشر والتوزيع، (د-ط)، 2003، ط 97.

[8] سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للايديولوجيا، ص 45.

[9] سعيد بنكراد، السيميائايت مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 157.

[10] سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للايديولوجيا، ص 37.

[11] ينظر: المرجع نفسه، ص 39

*[12] مصالي الحاج (1974/1898): أبو الحركة الوطنية، شخصية كاريزمية امتدادها عامة الناس والفقراء في الجزائر وطني، عانى من السجون والإقامة الجبرية، محب للزعامة وسجين هذا الشعور، ينظر: الكتاب المدرسي كتاب التاريخ للسنة الثالثة من التعليم الثانوي، ص 148.

[13] سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للأيديولوجيا، ص 56

[14] ينظر: المرجع نفسهن ص 39.

[15] المرجع نفسه، ص 112.

[16] ينظر: المرجع نفسه، ص 39.

[17] سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 178

[18] سعيد بنكراد، سيمولوجية الشخصية السردية (رواية شراع العاصفة) لحنامينا نموذجا، ص 81

[19] المرجع السابق، ص 101

[20] المرجع نفسه، ص 102

[21] محمد بن بريكة، التصوف الاسلامي من الرمز الى العرفان، الكتاب الاول ن دار المتون للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، ط2006،1ص 294

[22] المرجع نفسه، ص79

[23] ينظر المرجع السابق، ص295